فئران نيويورك

محمود سالم

فئران نيويورك

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

فئران نيويورك

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٦٣٨ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
مسألة شخصية	١١
صديق في ورطة	١٥
إن مجموع الأرقام لا يساوي شيئًا	٢١
بداية الصدام	٢٧
نقطة التَّماس	٣٣
في جُحر الفئران	٣٩
خطة «بازوليني»	٤٣
قطط وفئران	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

مسألة شخصية

كانت ليلة عاديَّة من ليالي المقرِّ السِّريِّ للشياطين الـ «١٣». بعضهم انصرف إلى القراءة، وبعضهم كان يسهر مع أجهزةِ الفيديو، والبعضُ كان يتسلَّى ببعض الألعاب ... ولاحظوا — رغمَ تعدُّد أماكنهم — الضوءَ الأحمرَ المتقطعَ الذي يدلُّ على أن اجتماعًا سيتمُّ بعد ربعِ ساعة في قاعة الاجتماعات الكبرى.

ابتهج الشياطين الـ «١٣»، فهم قد دُرِّبوا وعاشوا من أجل الأخطار ومواجهة الصعاب ... أما البقاءُ بلا عمل — ورغم برامج التدريب والترفيه — فقد كانوا يشتاقون إلى عملٍ حقيقي، وصراعٍ قويٍّ يشحذ مواهبهم.

بعد ١٥ دقيقةً بالضبط، كانت قاعةُ الاجتماعات الرئيسية تستقبل الشياطين وهم يبتسمون، وفي ذهن كلٍّ منهم تصوُّر ما لما سيقوله رقم «صفر» لهم ... ولكن ما حدث كان أبعدَ من توقُّعاتهم بكثير.

سمعوا خطواتِ رقم «صفر» المميزة والمنتظمة، حتى وصل إلى الكابينة الزجاجية حيث يجلس دون أن يراه أحد، ويستطيع أن يراهم جميعًا من الزجاج الأسود.

قال رقم «صفر»: إنني أتصور تقريبًا ما يدور بأذهانكم ... ولكنني طلبتكم من أجل مسألةٍ شخصيَّة يمكن أن تقبلوها أو لا ... ليست هناك أوامر محدَّدة.

وسمعوا صوتَ أوراق، ثم قال رقم «صفر»: قرأ أحد عملائنا في أمريكا إعلانًا صغيرًا في جريدة «نيويورك تايمز» ... هذا الإعلان مُوجَّه إلى «ريمون».

رنَّت كلمة «ريمون» في أذهانِ الشياطين جميعًا رنينًا عجيبًا ... من هو «ريمون»؟

هذا ما خطرَ ببالهم جميعًا عدا «أحمد»، فقد كان اسم «ريمون» يعني بالنسبة له شيئًا هامًّا.

إنه اسمٌ مستعار استخدمه أثناءَ مغامرته في إيطاليا ضدَّ اتحادِ عصاباتِ تهريبِ المخدِّراتِ إلى الشرقِ الأوسط ... استخدمه «أحمد» في مغامرةِ «ثلاث دقَّات وكلمة واحدة»، و«مخالب القط الأسود» ... وتنبَّهت حواسُّ «أحمد» تمامًا ...

بينما مضى رقم «صفر» يقول: إن جميع الإعلانات التي تُنشر في الأماكن الهامة من العالَم، والتي تتَّسم بالغموض، نقوم بفحصها ... وقد اتَّضح لنا أن هذا الإعلان مُوجَّه إلى شخصٍ موجود بيننا الآن ...

تلفَّت الشياطينُ بعضهم إلى بعض، وكلٌّ منهم يفكر: من هو «ريمون»؟ ... ما عدا «أحمد» بالطبع، فقد تذكَّر أنه اتُّهم بالقتل، وطارده رجالُ الشرطة، ثم رجالُ العصابات، فاضطُرَّ إلى تغييرِ شكله واسمه من «أحمد» إلى «ريمون» ...

ومضى رقم «صفر» يقول: لا داعيَ لأن تُتعِبوا أذهانكم، إن «ريمون» كان اسمَ زميلكم «أحمد» في إحدى مغامراته ... وكنَّا قد زوَّدناه بجوازِ سفرٍ باسم «ريمون»، لاستخدامه عند الحاجة ...

وسمعوا رقم «صفر» يضحك ضحكةً قصيرةً — وهو نادرًا ما يضحك — ثم قال: وأظنُّ أنه قد يستخدمه مرَّةً أخرى.

أثارت هذه الكلماتُ شهيَّةَ «أحمد» للاستماع إلى بقيَّة التفاصيل، ولكن رقم «صفر» انتظرَ قليلًا، كأنما يحكم على مدى صبره، ثم قال: لقد كان نصُّ الإعلان كالآتي:

إلى «ريمون» ...

إنني صديقٌ قديم لك، في حاجة إلى مساعدتك، اتَّصِل بي في رقم ٤٨٦٩٣٣٣ (٢١٢) والإمضاءُ حرف «ف» فقط.

وأضاف رقم «صفر» سريعًا: وطبعًا رقم ٢١٢ هو الرقمُ الكوديُّ لمدينةِ «جيرسي» ضاحية نيويورك ... ومعنى ذلك أن الرجلَ الذي يطلب المساعدةَ يقيم في هذه المدينة.

ساد الصمتُ لحظات، ثم قال رقم «صفر»: إنني أريد من «أحمد» أن يُدليَ ببيانٍ قصيرٍ إليكم عن الموضوع.

تحدَّث «أحمد» في مُكبِّر الصوت الموضوع أمامه، فقال: منذ فترةٍ كنت في إيطاليا لتسلُّم مظروفٍ هامٍّ من شخصٍ ما، وقد حضر هذا الشخصُ إلى حيثُ كنت أقيم في فندقٍ صغير بمدينة ميلانو، ولكن قُتل برَصاصةٍ في غرفتي ... واضطررت إلى الهرب لأنني كنت في موقفٍ حرِج. وقد غيَّرت ملامحي لتشبه جواز سفرٍ أخذته من إدارةِ الشياطين الـ «١٣»

باسم «ريمون» ... وفي نهايةِ الأحداث التقيت بشابٍّ أمريكيٍّ اسمه «فرانك»، وقد ساعدني في إتمامِ العمل مساعدةً قيِّمة ... وقد كان معي في هذه العمليةِ «عثمان» و«إلهام» و«زبيدة» ... وافترقنا، وعاد كلٌّ منَّا إلى مكانه، هو إلى أمريكا، وأنا إلى المقر السري ...

وسكت «أحمد» لحظات، ثم مضى يقول: لعلَّكم لاحظتم أن الإعلان مُوقَّع بحرف «ف»، وهو الحرفُ الأول من اسمِ «فرانك»، إنه هو الذي يطلب مساعدتي ...

سكت «أحمد»، ومضت لحظات، ثم قال رقم «صفر»: إن الذين يساعدوننا في إتمامِ مهمَّتنا لتحقيقِ العدالة، لا بدَّ أن نتدخلَ من أجلهم إذا طلبوا ذلك ... ومع هذا فإن الأمر متروك لـ «أحمد».

تحدَّث «أحمد» على الفور قائلًا: ليست عندنا مهمَّات الآن، وإني أستأذن رقم «صفر» في السماح بالسفر فورًا إلى أمريكا ومساعدةِ صديقي ...

ردَّ رقم «صفر» على الفور: لقد كنت أتوقَّع ذلك، لهذا فقد أعددنا أربعةَ جوازات سفر لك، ولـ «عثمان»، و«إلهام»، و«زبيدة»، للسفر إلى أمريكا ... وسوف تأخذ جوازَ سفرٍ باسم «ريمون»، كما كنت بالنسبة لـ «فرانك» ... وموعد السفر متروك لك ...

ردَّ «أحمد»: أعتقد أنه من الأفضلِ أن أسافر في أقربِ فرصة ... من الواضح أن صديقي في مأزق، والمآزقُ لا تحتمل التأجيل.

ردَّ رقم «صفر»: سوف تصلك الأرقام الخاصة بعميلنا في نيويورك، فقد تحتاجون إلى معونته.

أحمد: شكرًا يا سيدي ...

بعد دقائق من هذا الاجتماع، كان هناك اجتماع آخر بين الشياطين الأربعة؛ «أحمد»، و«عثمان»، و«زبيدة»، و«إلهام» ... تحدثوا مرةً أخرى عن المغامرة التي تمَّت في إيطاليا، ومساعدة «فرانك» وخطيبته «نانسي» لهم ... ثم تحدثوا عن الاستعداد للمغامرة القادمة.

لم تمضِ سوى ساعاتٍ على هذا الاجتماع، حتى كان الشياطين الأربعة يغادرون المقرَّ السريَّ في سيارةٍ واحدة من طراز مرسيدس، متَّجهين إلى أقرب مطارٍ من مقرِّ الشياطين، وقد استغرقت الرحلةُ نحو أربعِ ساعات، عبروا خلالها حدودَ إحدى الدول العربية، وبعد أن وضعوا السيارةَ في جراجٍ خاص، اتجهوا إلى المطارِ في سيارة تاكسي، وسرعان ما كانوا يستقلُّون طائرةً من طراز جامبو الضخمة متجهين إلى لندن ... وفي المطار ذهب «أحمد» إلى أقربِ تليفون، ثم طلبَ صديقه «فرانك» ... وعلى الطرَف الآخَر ردَّ صوتٌ مذعور يسأل: من الذي يطلب؟

أحمد: هل هو موجود؟

الصوت: من المهم يا سيدي أن نعرف من أنت؟

أحمد: أنا «ريمون».

ساد الصمتُ لحظاتٍ قليلة، ثم عاد الصوتُ يقول: «ريمون»؟ «ريمون»؟ ... أنا «نانسي»! هل تذكرني؟

أحمد: بالطبع ... كيف حالك؟

نانسي: من أين تتحدث؟

أحمد: من مطار لندن.

نانسي: ومتى تصل نيويورك؟ وأين تنزل؟

أحمد: بعد ثماني ساعاتٍ تقريبًا، سأكون في هيلتون، أين «فرانك»؟

نانسي: من الأفضل ألا أقول لك الآن ... من فضلك اتصل بي بمجردِ وصولك مطارَ نيويورك ...

أحمد: طبعًا سأتصل ... المهمُّ «فرانك» بخير؟

نانسي: أُفضِّل ألا أقول لك شيئًا الآن ... فقط اتصل بي فورَ وصولك نيويورك.

وضع «أحمد» السماعةَ وهو في حَيرةٍ مما سمع، لماذا لا تقول له «نانسي» ماذا حدث لـ «فرانك»؟ ... هل تليفونهما مُراقَب؟ هل حولها أحد يسمعها، وتفضل ألا تتحدث أمامه؟

حكى «أحمد» للشياطين ما حدث، وهم يجلسون في كافتيريا المطارِ يشربون الشاي، في انتظارِ إقلاعِ طائرة شركة J. W. A المتَّجهة إلى نيويورك ... ولكن حدث ما لم يكن في الحِسبان، فقد أعلنت الشركةُ عن تأخير رحلتها لأسبابٍ فنِّية، وأعلن المذيعُ أن الشركةَ سوف تُنادي على الركابِ بمجرَّد الاستعداد لذلك.

قال «أحمد»: يا لها من مشكلة ... إن «نانسي» في انتظارنا.

إلهام: أعِد الاتصال بها، واشرح لها ما حدث.

أحمد: سأنتظر فترة ... لعلَّ الشركة تعلن عن قيام الرحلة بعد وقتٍ قصير.

وقام «عثمان» بإحضار أربعة أكوابٍ من القهوة، وبعض قطع الفطائر ... وجلس الأربعةُ يأكلون ويشربون في انتظارِ النداء على طائرةِ نيويورك.

صديق في ورطة

امتدَّ الانتظار فترةَ ساعةٍ كاملة ... وأحسَّ «أحمد» بالقلقِ والتوتر، واتَّجه إلى التليفون مرةً أخرى، وأدارَ رقمَ «فرانك»، ودقَّ الجرسُ على الجانبِ الآخَر من المحيط في نيويورك، ولكنَّ أحدًا لم يردَّ ... انتظر «أحمد» نحو دقيقتين دون ردٍّ من الجانبِ الآخر ... وأدركَ أن «نانسي» قد خرجت، أو حدثَ لها مكروه.

وقف يُفكِّر لحظات، ثم اتجه إلى بقيَّة الشياطين ... وبينما هو في الطريق، سمع مُكبِّر الصوتِ يعلن عن قيام رحلةِ شركة J. W. A، وطلبَ من ركابِ الطائرة الاتجاهَ إلى باب رقم ٣ ... وحمل الشياطين حقائبهم الصغيرة، وأسرعوا إلى الباب، واجتازوا التفتيشَ الدقيقَ دونَ أن يعثر رجال الأمن على أجهزتهم المخبَّأة بمهارة في الحقائب، وبعد حوالي نصفِ ساعةٍ من النداء، أخذت الطائرة «الجامبو» من طرازِ «بوينج» تهدر على المدرج، وقد أخذ المطرُ يتناثرُ رذاذًا على أرض المطار، وأخذ الظلامُ يهبط تدريجيًّا ...

مضت ساعتان تقريبًا، وتناولوا طعامَ العشاء، وقال «أحمد»: من الأفضل أن ننام، فمع فارقِ التوقيت، سوف نصلُ نيويورك على بدايةِ الليل مرَّة أخرى.

وبعد دقائقَ قليلة، كان الشياطين الأربعة قد استسلموا للنوم، فقد كان ضمن تمارينهم في المقرِّ السريِّ كيف ينامون في أيِّ وقتٍ يحتاجون فيه إلى النوم، والقدرة على اليقظة لفتراتٍ طويلة ... هكذا هي حياة المغامر.

ومضت الرحلةُ هادئة، ولم يستيقظ الشياطين إلا على صوتِ المضيفة وهي تعلن أنهم يُحلِّقون فوق مطار «كيندي» الدولي في نيويورك، وتطلب من ركابِ الطائرة ربْط الأحزمة، والامتناع عن التدخين، وبعد ربع ساعةٍ تقريبًا من هذا التنبيه، كانت الطائرة الجبَّارة تجري على أرض المطار، بعد رحلةٍ استمرَّت تسعَ ساعاتٍ دون توقُّف.

ولَمَّا وصلوا إلى المطار أسرع «أحمد» إلى التليفون، واتصل بـ «نانسي» ولكنها لم تردَّ، وقام الشياطين بتسلُّم حقائبهم، ثم اندفعوا خارج المطار إلى شوارع مدينة نيويورك الصاخبةِ في أول الليل، وقد استيقظت حواسُّ المغامرة والقتال فيهم ... وكان «أحمد» يشعر أنها مغامرته الشخصية، فهناك صديق في ورطة ... صديق ساعده في وقت الحاجة ... واستقلُّوا تاكسيًا إلى فندق «هيلتون» في «الروكفلر سنتر»، قلب مدينة نيويورك ... واستغرقت الرحلة من المطار إلى الفندق الضخم ساعةً كاملة ...

وكانت «إلهام» تنظر من نافذة السيارة قائلةً: من المدهش أننا مررنا بعشرات المغامرات، وسافرنا إلى أقاصي الأرض، ولم نأتِ مرَّةً واحدةً إلى نيويورك!

أحمد: ها قد جئنا أخيرًا.

عثمان: إننا في قلب الحضارة الحديثة للعالم، بكلِّ ما تحلمه كلمة الحضارة من تكنولوجيا وتقدُّم، وبقدرِ ما تحمل من تقدُّم، وتحمل من شر.

وصلوا إلى الفندق الكبير الذي يقف بأسلوب بنائه الحديث، مثل علبة سجائر ضخمة ارتفاعها خمسون طابَقًا، وبجواره عشراتٌ من ناطحات السحاب، بينها «الأمبيرستيت» التي ظلَّت نحو خمسين عامًا أعلى عمارة في العالم.

وقفوا في طابور انتظارِ تسجيل أسمائهم في الفندق، والحياة تتدفق هادرةً حولهم. وبمجرَّد أن انتهوا من تسجيل أسمائهم، حملوا حقائبهم واتجهوا إلى المصاعد ... وكانت غرفهم في الطابق ٤٤ من الفندق الضخم.

نزل «أحمد» و«عثمان» معًا، و«زبيدة» و«إلهام» معًا ... وأسرع «أحمد» إلى التليفون مرةً ثالثة، ولكن لا رد من «نانسي» ... وبعد أن ارتاحوا قليلًا عقدوا اجتماعًا ...

قال «أحمد»: من الواضح أن ثمَّةَ شيئًا حدث لـ «نانسي» ... إنها لا تردُّ على التليفون ...

زبيدة: أليست لدينا معلومات أخرى تُمكِّننا من الاتصال بها؟ ...

أحمد: ليس إلا رقم التليفون الذي لا يرد ...

إلهام: إننا نستطيع عن طريقِ الرقم أن نعرف العنوان، ونذهب إلى هناك. لنتصل بالسنترال، وسوف يدلُّنا ...

أحمد: هذه فكرة ممتازة.

إلهام: إنها مسألة عاديَّة في هذه البلاد ... كما في أوروبا.

ولم يكد «أحمد» يتحرَّك ناحية التليفون، حتى دقَّ الجرس ... وقال «أحمد»: إن «نانسي» تعرف أننا سننزل في الهيلتون ... لعلها هي.

أسرع يرفع السماعة ... وسمع صوتًا خشنًا يقول: أنت «ريمون»؟

أحمد: نعم ... إنني هو ...

رجل: إنني من طرف «نانسي» ...

أحمد: أين هي؟

الرجل: لا أعرف ... لقد اتصلت بي في المساء، وقالت لي إنك ستصل إلى نيويورك ليلًا. فإذا اتصلتُ أنا بها ولم أجدها، أقوم بالاتصال بك.

أحمد: هل أنت قريب من المكان؟

الرجل: إني أتحدث من صالة الاستقبال في الفندق ...

أحمد: اصعد فورًا من فضلك.

نظر الشياطين بعضهم إلى بعض ... كانوا جميعًا قد فكَّروا في نفس الشيء، أن «نانسي» قد حدث لها مكروه مثلما حدث لـ «فرانك»، وأن مهمَّتهم صعبة، بل أكثر صعوبةً مما تصوَّروا.

وبعد دقائق من الصمت، سمعوا جرس الباب، وأسرع «عثمان» يفتح، ودخل شابٌّ قصير القامة أحمر الشعر، يبدو على قدرٍ كبير من الطيبة، وقال مُقدِّمًا نفسه: اسمي «جون ماكموري» ... وأصدقائي يسمونني «جوك» ...

أحمد: أهلًا ... «جوك»!

جوك: إنني أعمل مع مستر «فرانك» وزوجته اللذين يملكان سلسلةً من المطاعم الصغيرة تدعى «فانسي»، وهي كلمة مكوَّنة من اسمَي «فرانك» و«نانسي» ...

وبلع «جوك» ريقه ثم مضى يقول: وقد نجحَت هذه السلسلة من المطاعم نجاحًا عظيمًا حتى أصبح «فرانك» و«نانسي» في عِداد الأغنياء ... وقد سافرا في رحلة إلى إيطاليا، وقد بلغا قمَّة النجاح.

أحمد: لقد التقينا بهما هناك ...

جوك: وبعد أن عادا من إيطاليا بدأت المتاعب ... فقد لاحظنا قيام بعض البلطجية بالهجوم على هذه المطاعم، وافتعال مشاجراتٍ وخناقات، ثم تكسير المطعم، مما أدَّى إلى فرار الزبائن ... ورغم أننا شكونا إلى بوليس نيويورك، فإن هؤلاء البلطجية كانوا يظهرون ويختفون كالأشباح.

أحمد: وماذا فعل البوليس؟

جوك: استطاع القبضَ على عدد منهم ... ولكنهم كانوا من المهارةِ بحيث لم يمكن إثباتُ أيِّ شيء عليهم أكثر من توقيع بعض الغرامات عليهم، أو حبسهم بضعة أيام ثم الإفراج عنهم.

أحمد: وماذا بعد ذلك؟

جوك: إنني أعمل في سكرتارية مستر «فرانك»، وذات يومٍ تلقَّيت مكالمةً من شخصٍ يطلب الحديث إلى مستر «فرانك»، وعندما طلبت منه أن يخبرني باسمه ذكر لي اسم «بازوليني».

تغيَّر وجه «أحمد» بسرعة ... وقال «جوك»: شيء مدهش! لقد تغيَّر لون وجهك عندما سمعتَ الاسم، وهذا ما حدث بالضبط للمستر «فرانك» ...

أحمد: وبعد؟

جوك: أخبرت مستر «فرانك»، وسمعته يتحدث بعصبيةٍ شديدة مع هذا الرجل ... وكان واضحًا أن «بازوليني» هذا يهدد مستر «فرانك» ...

وصمت «جوك» لحظات، ثم قال: ووضع مستر «فرانك» السماعة، وبدا عليه الغضب الشديد، ثم قال لي إنَّ «بازوليني» هذا من زعماء العصابات، وإنه مُدبِّر كلِّ الحوادث التي وقعت في المطاعم التي يملكها مستر «فرانك»، وإنه يطلب منه مبلغ خمسة ملايين دولار مقابل وقف الاعتداءات على المطاعم، وطبعًا فإن مستر «فرانك» رفض لسببين: أولهما أنه لا يقبل هذا الابتزاز، والثاني — وهو الأهم — أنه لم يكن يملك هذا المبلغ بعد أن أصبحت سمعة المطاعم سيِّئةً نتيجةَ ما يحدث فيها من اعتداءات ... وبدأنا نخسر بشكلٍ لا مثيل له.

وصمت «جوك» ... وأخذ الشياطين يُفكِّرون أن كل هذا حدث لأن «فرانك» ساعدهم ضد «بازوليني» في مغامرة «مخالب القط الأسود» في فينسيا، ولقد أصبح لزامًا عليهم أن يقفوا بجانب «فرانك» في محنته ... ولكن المهم من أين يبدءون؟ خاصَّةً وقد اختفى «فرانك»، ثم اختفت «نانسي» ...

قال «أحمد»: وماذا بعد؟

جوك: بدا مستر «فرانك» مهمومًا وعصبيًّا طَوال الأسابيع الماضية، ومنذ خمسة أيَّام خرج ذات ليلةٍ من الشركة ولم يذهب إلى البيت، وأبلغنا البوليس، ولكنَّ أحدًا لم يعثر عليه ... وعندما حكيت للبوليس عن موضوع «بازوليني»، قالوا إنهم لا يعرفون أحدًا بهذا الاسم من المسجلين عندهم في سجلَّات المجرمين.

أحمد: بالطبع، إنه ينتحل اسمًا آخر دخل به الولايات المتحدة ...

جوك: وقد تولَّيت العمل بعد تغيُّب مستر «فرانك» ... وأخذت أنا والسيدة «نانسي» نحاول إصلاح الحال ... ولكن المسألة كانت أكبر من إمكانيَّاتنا ... وأمس مساء، تلقَّت مسز «نانسي» مكالمةً تليفونيةً أثارت اضطرابها، وفهمت أنها ذاهبة لمقابلة مستر «فرانك» في مكان ما ... ولكنها لم تعُدْ أيضًا، بعدما أوصتني أن أتصل بكم ...

إن مجموع الأرقام لا يساوي شيئًا

تحدَّثت «إلهام» قائلةً: هل ما زالت الحوادث على محلَّاتكم تحدُث يوميًّا؟

جوك: ليس يوميًّا ... وقد اضطررنا لإغلاق بعض المحلات التي لم يعد يتردد عليها زبائن، فهي تُسبب لنا خسائرَ فادحة.

أحمد: ما هو أكثر فرع تعرَّض للاعتداء؟

جوك: إنه فرع «مانهاتن».

أحمد: أرجوك أن تفتح هذا الفرع غدًا ...

جوك: هذا مستحيل! إنَّ قوَّة «بازوليني» الرئيسية موجودة في «مانهاتن» ... وفتح الفرع هناك معناه تحدٍّ صارخ للعصابة، وقد يُغيرون عليه في نفس الليلة.

أحمد: هذا ما نريده بالضبط ...

جوك: ولكن ليس هناك عُمَّال يقبلون العمل عندنا، إنهم جميعًا يخافون من سطوة «بازوليني».

أحمد: هل يكفي أربعةُ عمال لإدارة المحل؟

جوك: طبعًا.

أحمد: إذن فنحن أربعة ... أنا وهؤلاء الزملاء.

جوك: لقد سمعت من مستر «فرانك» عن كفاءتكم القتالية، ولكنكم لم تجرِّبوا رجال «بازوليني».

أحمد: دع هذا علينا.

أخذ «جوك» يُفكِّر ... ولكن «أحمد» لم يدع له مجالًا للتفكير، فقد قال على الفور: نفِّذ ما قلناه لك ... ودع الباقي علينا.

جوك: أوكي ...

أحمد: وسنأتي معك الآن ... نريد أن نرى مكان عملكم، ومكان فرع «مانهاتن».

ونزل الشياطين الأربعة مع «جوك»، وأخذت سيارته تقطع بهم طرقات مدينة نيويورك الصاخبة، وسرعان ما اجتازوا كوبري «مانهاتن» الضخم، ووصلوا إلى عمارةٍ متوسِّطة الحجم، كانت الأنوار تلمع على واجهتها، وبينها اسم «فانسي» باللون الأحمر، وهو اسم سلسلة المطاعم التي يملكها «فرانك»، و«نانسي».

لم يكن في المكتب أحدٌ في هذه الساعة، ونظر إليهم الحارس الواقف بجوار الباب نظرةً مريبةً ... وصعدوا في المصعد من الجراج إلى المكاتب. وفتح «جوك» الباب، وكان جرس التليفون يدقُّ ... وأسرع إليه ورفع «جوك» السماعة، بينما وقف الشياطين ينظرون حولهم ... كان كلُّ شيءٍ أنيقًا ولامعًا، وأحسُّوا بالخَسارة التي أصابت «فرانك» من عصابةِ «بازوليني» التي تحاول هدمه ...

أشار «جوك» إلى «أحمد» أن يقترب منه ... ثم قال وهو يضع يده على السماعة: إن «فرانك» يتحدث، ارفع السماعة الثانية ...

وأشار «جوك» إلى جهاز تليفون ... وأسرع «أحمد» يرفع السماعة، وسمع صوت «فرانك» ... كان صوتًا خشنًا ضعيفًا يعكس حالة «فرانك» النفسية وهو يقول لـ «جوك»: كما قلت لك، بِع كلَّ شيء ... لقد اصطادوا «نانسي» أيضًا، إنها في أيديهم الآن يا «جوك» ... فلا تتردد، قال «جوك» بصوتٍ هامس: إن أصدقاءك وصلوا.

فرانك: العرب؟

جوك: نعم ... إنهم أربعة.

وقال «أحمد»: «فرانك» ... تحمَّل قليلًا ...

فرانك: إنهم وحوش.

أحمد: أعطِنا فرصة ... بضعةَ أيام فقط.

فرانك: ولكن ... «نانسي» ...

أحمد: لا تخشَ شيئًا ... إنهم لن يستفيدوا بقتلها ...

فرانك: إنَّ أحدهم يقترب ... سأتحدث إلى «جوك» فقط ...

وسمع «أحمد» «فرانك» يقول لـ «جوك»: بِع كلَّ شيء كما قلتُ لك ... إنهم على استعداد لقَبول ثلاثة ملايين مؤقَّتًا.

جوك: حسنًا أيها الرئيس، سوف أبدأ في إجراءات البيع ... ولكن أنت تعلم أنها تستغرق بعض الوقت ...

فرانك: كم يومًا؟

أخذ «جوك» ينظر إلى «أحمد»، فأشار «أحمد» بأصابعه الخمسة، فقال «جوك»: أعتقد بعد خمسة أيامٍ ...

وسمع «أحمد» صوتًا آخر يقول: اسمع أيها القرد ... ابدأ غدًا في البيع ... وإلا فسوف يحدث ما لا تُحمد عُقباه ...

ووُضعَت السماعة على الطرف الآخر، وقال «جوك»: إنهم جادُّون.

أحمد: ونحن جادُّون أيضًا ... افتح فرع «مانهاتن» غدًا ... وتعالَ لنراه الآن ...

وخرجوا مرَّةً أخرى إلى الشارع، وعلى بعد نحو ثلاثة كيلومترات، شاهدوا فرع «مانهاتن» ... كان يشغل الدور الأرضيَّ من عمارةٍ ضخمة، وقد أحاطت به المحلَّات من كلِّ جانب ...

وأوقف «جوك» السيارة، ونزل الشياطين معه، وفتح الباب ودخلوا.

كان مطعمًا تقليديًّا مثل كلِّ مطاعم المدينة ... صالة واسعة، قُسمت إلى مربعات ... كلٌّ مربَّع به عدد من المناضد الثابتة ... وبين كلِّ مربَّعٍ وآخَر ممرٌّ يؤدِّي إلى المطبخ ... وكانت آثار المعارك التي دارت واضحةً في أكثر من مكان.

قال «أحمد»: كم عدد المغيرين في كلِّ مرة؟

جوك: إنهم بين ثلاثةٍ وخمسة ... وعادة ما يكونون من الملاكمين السابقين ذوي القبضات الحديدية ...

أحمد: هذا يناسبنا جدًّا ...

أخذ «عثمان» يلفُّ ويدور بين المناضد وهو يتخيَّل المعركة القادمة ... أما «زبيدة»، فقد أخذت تقيس المسافة بين الأماكن ... بينما سألت «إلهام» «أحمد»: ما هي خُطَّتك؟

أحمد: إننا نريد أن نضربهم علقة ساخنة ... وأن نأسر أحدهم كرهينة ...

جوك: هذا صعب جدًّا ... إنهم من المقاتلين المتمرِّسين على هذا النوع من المعارك.

أحمد: أظن أننا نستطيع عمَل شيءٍ ... هل هناك غُرَف أخرى؟

جوك: نعم ... هناك ثلاث غُرف للإدارة والحسابات ...

أحمد: أين الطريق إليها؟

وقاده «جوك» إلى الداخل ... وبعد جولةٍ أخرى في المحل، غادر الشياطين المكانَ، واتفقوا مع «جوك» أن يتَّصِل بهم في اليوم التالي.

أوصلهم «جوك» إلى الهيلتون مرَّة أخرى ... وأخرج «أحمد» ورقةً صغيرةً من جيبٍ سريٍّ في الحقيبة، وقال: سوف أتصل بعميل رقم «صفر» في نيويورك ... قد نحتاج إلى مساعدته.

زبيدة: ألا تنتظر حتى نرى ما سنفعل؟

أحمد: سوف أطلب معلومات فقط ...

وأدار «أحمد» رقمًا معيَّنًا، ودقَّ جرس التليفون ثلاث مرَّات ثم توقَّف ... وعاد «أحمد» يُدير القُرص، ورنَّ الجرس ثلاثَ مرَّات ثم توقَّف ... ومرة ثالثة أدار «أحمد» القرص، وفي هذه المرَّة وبعد الرنين الثالث، جاء صوتٌ غامضٌ يقول: إنني أستمع إليك ...

أحمد: إن «ثي. ك. سي» قد حدَّدت نقطة «ع» على الخريطة «ثي»، فهل النقطة صحيحة؟

الصوت الغامض: إنها صحيحة ...

أحمد: وهل مجموع الأرقام ٤ و٩ و٥ لا يساوي شيئًا؟

الصوت الغامض: إنني أستمع إليك ...

أحمد: إن رقم «صفر» يجيبك ... ونحن نرجو مساعدتك ...

الصوت الغامض: تحيَّاتي إلى رقم «صفر»، وتستطيع أن تناديَني «بلاك».

أحمد: إننا أربعة، وننزل في فندق «هيلتون روكفلر سنتر»، ونريد معلومات عن «بازوليني».

بلاك: سأتصل بك بعد نصف ساعة ... ما هو رقم الغرفة؟

أحمد: إنها ١٤–٤٤ ...

بلاك: نصف ساعة ...

ووضع «أحمد» السماعة، وقال «عثمان»: هل تعتقد أنه سيصل إلى ما نريد؟

أحمد: سنرى مدى كفاءة عملاء رقم «صفر» ...

وطلبوا عشاءً فاخرًا، وجلسوا أمام التليفزيون الذي يذيع على ٢٤ محطة، وثلاث قنواتٍ خاصَّةٍ بالفندق ... ومرَّت نصف ساعةٍ بالضبط ودقَّ جرس التليفون، كان المتحدِّث هو «بلاك»، وعلى الفور، أخذ يُدلي بتقريرٍ عن «بازوليني»: إنه من صقليَّة ... ولد عام ١٩٢٨، فهو الآن في الرابعة والخمسين ... كان يعمل في مصنع صغير لعصير العنب، وعُرف منذ صباه بالقوة والدهاء ... وقد اتُّهم في عدَّة سرقاتٍ واعتداءٍ مسلَّح، ولكن لم يثبت عليه شيء ... وفي السابعة والعشرين، قام بتنظيم عصابةٍ للتهريب، أخذت تكبرُ حتى أصبحت من

أكبر عصابات التهريب في البحر المتوسط، وغادروا صقليَّة إلى «نابلي»، واستطاع الجمع بين عصابات التهريب كلِّها التي تعمل في المنطقة ... ثم حدث خلافٌ بينهم ... وسكت «بلاك» لحظات، ثم قال: أظنُّ أنك تعرف بقيَّة القصَّة ...

أحمد: نعم ... ولكن ما يهمُّني الآن هو موقفه في أمريكا ...

بلاك: لقد دخل البلد باسمٍ مستعارٍ هو أندريا كانفافو.

أحمد: إن البوليس لا يعلم عنه شيئًا ...

بلاك: حتى ولو كان يعلم، فلن يستطيع أن يُثبت ضده شيئًا ...

أحمد: وبعد؟

بلاك: لقد أعاد تكوين عصابته من بعض أعوانه الذين فرُّوا من المعركة التي اشتركت فيها في «فينسيا»، وبعض عتاة اللصوص والبلطجية، وهم يعملون جميعًا تحت اسم «عصابة فئران نيويورك» ...

أحمد: «فئران نيويورك»؟!

بلاك: نعم ... وفي الصباح ستكون عندك معلومات أخرى ...

بداية الصدام

ناقش الشياطين الأربعة خُطَّة الغد بناءً على معلومات «جوك» و«بلاك» ... ثم فتحوا الجيوبَ السريَّةَ في حقائبهم، وأخرجوا أسلحتهم الصغيرة، ووضعوها في ملابسهم العادية، وفي الحادية عشرة ليلًا، استسلموا للنوم العميق.

استيقظوا في صباح اليوم التالي على تليفون من «جوك» ... تحدث إلى «أحمد» قائلًا: لقد أرسلتُ فرقةَ نظافةٍ لإعداد فرع «مانهاتن» ... سيكون المحل جاهزًا قرب المساء.

أحمد: عظيم ... سنكون هناك في السادسة ...

جوك: هل تريدون أن أرسل لكم بعض رجالي؟

أحمد: شكرًا ... كلُّ ما نريده ثياب مناسبة للعمل.

جوك: إن الملابس جاهزة في المحل ... وأظن أن عندنا مقاساتكم ...

أحمد: إذا اتصل بك «بازوليني» أو «فرانك» أو «نانسي»، فأرجو أن تتصل بي للأهمية ...

جوك: طبعًا ... طبعًا ... إنني أدعو لكم بالتوفيق.

وخرج الشياطين الأربعة واستأجروا سيارتين من طراز «موستانج» القوية ... وطافوا مرَّةً أخرى بفرع «مانهاتن»، ثم قضَوا بعض الوقت في زيارةٍ سريعة لتمثال الحرية، وركبوا القارب الضخم إليه، وتناولوا وجبةً خفيفة من «الهامبورجر»، ثم عادوا إلى الفندق ... وتحدَّث «أحمد» إلى «بلاك» الذي قال إنه ليست هناك معلومات جديدة ...

ناموا جيِّدًا بعد الظهيرة، وفي الخامسة كانوا يركبون السيارتين، وتوجَّهوا على الفور إلى «مانهاتن»، وأوقفوا السيارتين ثم دخلوا المحل ... كان قد تغيَّر إلى حدٍّ بعيد، وعاد إليه النظام والنظافة، ولم يكن فيه إلا شابٌّ «زنجيٌّ» صغير السن يقف في الباب ... وعندما رآهم قال مبتسمًا: إنكم شجعان ...

أحمد: لماذا؟

الزنجي الصغير: إن أحدًا لم يقبل العمل في هذا الفرع ...

أحمد: وأنت شجاعٌ أيضًا ... فقد قبلت العمل.

الزنجي الصغير: إنني أُدعى «مالكوم»، فما هو اسمك؟

أحمد: اسمي «ريمون» ...

مالكوم: هل أُعلِّق لافتة أن المحل مفتوح؟

أحمد: فورًا ...

دخل الشياطين الأربعة إلى الغرفة الخلفية، حيث ارتدَوا ثياب العمال ... وقابلهم الطباخ وكان زنجيًّا أيضًا، عجوزًا مرِحًا ... أُعجبَت به «إلهام» كثيرًا عندما قال لها: إنكِ فتاة فاتنة ... فلماذا تعملين في هذا المكان؟

إلهام: أكل العيش ...

ضحك الزنجيُّ العجوزُ وقال: ولماذا لا تأكلين شوكولاتة؟

إلهام: ثمنها غالٍ.

الزنجي: هل تعرفون ما يحدث هنا؟

إلهام: نعم ...

هزَّ الزنجي رأسه الأشيب وهو يقول: سأختبئ عندما يبدأ القتال ...

إلهام: من الأفضل أن تتفرج ...

وخرج الشياطين الأربعة، وانتشروا بين الموائد والكراسي الثابتة ... ومضت نصف ساعةٍ ثم دخل شابٌّ ومعه فتاة. كان واضحًا أنهما متعبان وقادمان من سفرٍ بعيد ...

ذهبت إليهما «زبيدة»، فطلبا ساندويتشات وكوكاكولا. جاءت «زبيدة» بالطلبات، بينما جلست «إلهام» خلف آلة النقود، ووقف «أحمد» بجوار الباب، و«عثمان» وسط المحل. تبادل الزَّبون الحديث مع «زبيدة»، وقال إنه قادم من ولايةٍ بعيدة مع زوجته، وإنهما أول مرَّة يحضران إلى نيويورك.

وبعد دقائق أخرى، دخلَت سيدةٌ ومعها طفلها، ثم رجلٌ شديد الأناقة ... وابتسم «عثمان»، فهؤلاء جميعًا لا يعلمون ما سيحدث بعد قليل ... ولكن الوقت مضى دون أن يحدث شيء، واقتربت الساعة من العاشرة، وعدد الزبائن يتزايد ... وخرج الطباخ العجوز ينظر إلى الصالة، وقد بدت في عينيه الدهشة ... ولكنها دهشةٌ لم تطُل، فقد ظهر رجلان في مدخل المحل، تبعهما ثالث، ثم رابع ... وأشار أحدهم إلى «زبيدة»، فذهبت إليه ... فقال بلهجةٍ وقحة: ماذا تبيعون هنا؟

ردت «زبيدة»: كل ما تطلب يا سيدي ...

الرجل: هل عندكم ساندويتشات من لحم الفيل؟

هزَّ «أحمد» رأسه إلى «زبيدة»، وهي إشارة تعني: تحرَّشي به ... فردَّت على الفور: إذا أخذنا قطعةً منك، فمن الممكن أن تكون ساندويتش لحم الفيل ...

احمرَّ وجه الرجل، وضرب المنضدة بيده، وصاح: أنتِ ...

وقبل أن يُكمل جملته، كان «عثمان» قد انقضَّ عليه، ولوى ذراعه إلى الخلف بشدةٍ جعلته يصيح ... وتدخَّل زميل له، ووجَّه لكمةً قويَّةً إلى وجه «عثمان»، ولكن ذراعه لم تصل إلى هدفها؛ لأن «أحمد» كان قد قفز وشدَّ ذراعه إلى الخلف، ثم أداره، وضربه ضربةً قويَّةً أوقعته على وجهه ... وسرعان ما بدأ القتال ...

أسرع الزبائن بالفرار من المكان، وأشار «أحمد» إلى «مالكوم» الذي كان يتفرَّج مذهولًا ... أشار إليه أن يُغلق الباب، وبدأ الشياطين ينصبون السيرك للرجال الأربعة ... فهم يقفزون، ويضربون ... ويصيبون في كلِّ مرَّة. وفجأة، أخرج أحد الرجال مُدْية، وهاجم «أحمد» الذي أخذ يتقهقر إلى الخلف ... وكان الزنجيُّ العجوزُ يُطلُّ من خلف حاجز المطبخ يراقب ما يحدث ... وبسرعةٍ ودون أن يتوقَّع «أحمد»، أسرع مالكوم الصغير يقفز، ثم يرفع طبقًا ثقيلًا ويهوي به على ذراع الرجل الذي صرخ متألِّمًا ... وفي لحظة، كان «أحمد» قد طار في الهواء، وضربه ضربةً طرحَته أرضًا بلا حَراك، وبعد أقلِّ من ساعة، كان الرجال الأربعة ينطرحون أرضًا وهم في حالةٍ يُرثى لها ... وأسرع «أحمد» إلى التليفون واتصل بـ «بلاك».

أحمد: «بلاك» ... هل لك عَلاقةٌ بالبوليس هنا؟

بلاك: طبعًا ... عَلاقة قويَّة ...

أحمد: أرسل بعض رجال البوليس إلى «مانهاتن» ... شركة فانسي، لقد أوقعنا بأربعةٍ منهم.

بلاك: سوف يُفرج عنهم القاضي بكفالة ...

أحمد: ولو احتفظنا بهم ... ماذا سيكون موقف البوليس؟

بلاك: إنني أستطيع أن أغطِّي موقفكم ... ماذا تريد بالضبط؟

أحمد: أريد أن أساوم عليهم ...

بلاك: ما هي القصة بالضبط؟

أحمد: ليس هناك وقت ... هل عندك مكان يُمكن نقلهم إليه؟

بلاك: بالطبع، عندي مخزنٌ على رصيف نيويورك ... رقم ١١٣.

أحمد: انتظرنا هناك.

قام الشياطين الأربعة بشدٍّ وَثاق الرجال، وطلبوا من «مالكوم» أن يقف ويراقب، وسرعان ما تمَّ نقلُ الرجالِ الأربعة إلى السيارتين ... وانطلقتا بالشياطين.

كان الظلام دامسًا على رصيف نيويورك، ولكن الشياطين استطاعوا أن يصلوا إلى المخزن رقم ١١٣، وكانت الرياح تهبُّ بشدَّة، وتخترق جدران المخزن الخشبيِّ بما يُشبه عويل الذئاب ... وعلى ضوء السيارتين، شاهدوا شخصًا يقِف وقد وضع يديه في جيوبه، ورفع ياقة معطفه، ويلبس نظارات سوداء ... ولولا أن الشياطين متأكِّدون أن رقم «صفر» بعيد عنهم بآلاف الأميال، لقالوا إنه رقم «صفر».

انفتحت أبواب المخزن، ودخلت السيارات ... وكانت مفاجأة ... ففي داخل الكشك الخشبي الطويل، كان ثمَّة مخزن آخَر متينُ البنيان، ساطعُ الضوء، يُغطِّي جُدرانَه الرخام ...

وفي دقائقَ قليلة، تمَّ نقلُ الرجال الأربعة إلى داخل المخزن، ثم وُضِع كلٌّ منهم في غرفةٍ مستقلَّة ... وتبيَّن الشياطين على الفور أنها ثلاجات مستقلَّة ...

وبعد لحظات، دقَّ جرس المخزن، وسمعوا «بلاك» يتحدَّث: إنني أتحدَّث إليكم من سيارتي ... ثم أملاهم الرقم، وقال: إنني أتجوَّل حول الرصيف، إذا احتجتم لي فإنني أستطيع أن أصل إليكم في دقائق.

وجلست «إلهام» و«زبيدة» في الحراسة خارج الغُرَف ... بينما فكَّ «أحمد» و«عثمان» وَثاق أحد الرجال الذي بدأ يُفيق من غيبوبته ... ونظر حوله في دهشة وقال: أين أنا؟

عثمان: أنت في مكانٍ أمينٍ جدًّا ...

الرجل: ومن أنت؟

عثمان: لعلَّك تذكرني. إنك حاولت أن تضربني.

الرجل: ما هي الحكاية بالضبط؟

عثمان: نحن الذين نريد أن نعرف.

فزِع الرجل قليلًا، ثم قام واقفًا يفرك عينيه ... وألقى عليه «عثمان» ببعض الماء البارد ... وفجأة، ثار الرجل وهجم على «عثمان» قائلًا: ماذا تفعل أيها الولد التافه؟

زاغ «عثمان» من الرجل، ثم دفعه بقوَّة، فارتطم بالحائط، واستدار وقد بدت الدهشة في عينيه.

وقال «عثمان»: اسمع ... أمامك دقيقة واحدة لتقول لي من أنت ومع من تعمل ...

ردَّ الرجل بسرعة: لا دقيقة ولا ساعة، لن أقول شيئًا.

عثمان: عظيم ...

خرج «عثمان» و«أحمد» وأغلقا الباب خلفهما، ثم أدارا الثلاجة التي ارتفع صوت مُحرِّكها في الليل ... وقال «أحمد»: لنُدِرْ الثلَّاجات كلَّها ...

ودوَّت المحرِّكات، وجلس الشياطين الأربعة هادئين، ثم قام «أحمد» بالاتصال بـ«جوك» الذي ما كاد يسمع صوته حتى صاح: ماذا فعلتم برجال «بازوليني»؟ ...

ردَّ «أحمد»: لا شيء ... إنهم رجالٌ لم يتهذَّبوا كفاية، وسوف نُعلِّمهم الأدب ...

جوك: إنهم قلبوا الدنيا عليهم ... وقد اتصل بي، وهدَّدني بقتل «فرانك» إذا لم يعد رجالُه.

أحمد: دعه يتَّصِل بنا ... وهذا هو رقم التليفون.

نقطة التَّماس

لم تمضِ سوى دقائق قليلة عندما دقَّ جرسُ التليفون، ولم تكد «إلهام» ترفع السمَّاعة حتى سمعَت صوتًا خشنًا قاسيًا يصيح: من أنت؟

ردَّت «إلهام» بهدوء: أليس من الأدب أن تقول من أنت أولًا؟ ... إنك أنت الذي تطلب!

صاح الرجل: أعطِني رجلًا أكلِّمه.

إلهام: إنني زميلة من المجموعة التي تريد التحدُّث إليها ... وتستطيع أن تقول ما تريد.

الرجل: سأدقُّ عِظامكم ... سأجعلكم أمثولةً لكلِّ من تُحدِّثه نفسه أن يقف في طريقي ... إنكم لا تعرفون من أنا ...

إلهام: إننا نعرف من أنت ...

وتَجمَّع الشياطين حول «إلهام»، ومضت تقول: لقد سبق أن تعرَّفنا من قبل، وجعلناك أنت ورجالَك تهربون كالفئران ... ولهذا سمَّيتم أنفسكم «فئران نيويورك»، والفئران أفضل منكم بكثير.

صمَت الرجل لحظات ... كان واضحًا أنَّه غاضب حتى إنه لا يستطيع الكلام ... ثم انفجر: إني لا أذكر شخصًا وقف أمامي ... لقد حطَّمت كلَّ من حاول أن يقاومني ...

إلهام: إن ذاكرتك ضعيفة يا سيِّدي ... حاوِل فقط أن تتذكر، ثم دعني أقل لك إنه ليس من البطولة أن تتعرض لرجلٍ مسالم هو وزوجته، وتبتزَّ أموالهما بأعوانك من السفلة والرعاع، ولو كنت زعيمًا حقيقيًّا كما تدَّعي لخرجت بنفسك لنرى ماذا تستطيع أن تفعل.

صاح الرجل كأنه سينفجر: سأجعل رجالي يُحطِّمون عظامكم. إن من تسمُّونهم فئرانًا هم أقوى رجالٍ في أمريكا.

إلهام: إذا كان ذلك حقًّا ... فهم الآن موضوعون كالأسماك الباردة في الثلاجات، وسوف نتركهم حتى يتجمَّدوا.

الرجل: رجالي أنا؟!

إلهام: نعم ... أربعة من البلطجية ... وقد أخذوا علقةً يستحقِّونها.

صمت الرجل لحظاتٍ ثم قال: إنني أريد أن أتأكَّد.

قالت «إلهام» لـ «أحمد»: إنه يريد الحديث إلى أحد رجاله.

أسرع «عثمان» إلى إحدى الثلاجات الأربعة ... وأخرج الرجل الذي كان قد بدأ يحسُّ بالبرد ... وقال له: تعالَ كلِّم زعيمك.

أخذ الرجل يسير متردِّدًا وقد تأثَّر بالبرودة ... ورفع سماعة التليفون وقال: أنا «جو» أيها الزعيم.

وصمت قليلًا، وأخذ لون وجهه يتغيَّر ... ثم قال: ماذا نفعل يا زعيمي؟ إن هؤلاء الأولاد كأنهم شياطين ...

وابتسم الشياطين الأربعة، فقد صدَق الرجل فيما قال ... وعاد الرجل يستمع لحظاتٍ ثم قال: إنني في ثلاجة أيُّها الزعيم، وسوف نتجمَّد بردًا ... من الواضح أنهم لن يتردَّدوا في تركنا نموت ...

واستمع لحظاتٍ أخرى، ثم ناول السماعة إلى «عثمان»، واستمع «عثمان» على الطرَف الآخر إلى صوت الرجل الذي قال بهدوء: اسمع أيها الشاب ... إنني أريد أن أصل معكم إلى اتفاق ...

عثمان: إننا على استعداد.

الرجل: ماذا تريدون بالضبط؟

عثمان: نريد الإفراج عن «فرانك» و«نانسي» فورًا، وعدم التعرُّض لهما.

لم يكد الرجل يسمع «فرانك» و«نانسي» حتى صاح كالمجنون: ما لكم أنتم وهذين الشخصين؟

عثمان: إنهما صديقان لنا.

الرجل: صديقان؟! إن بيني وبين «فرانك» هذا ثأرًا ... لن أتركه إلا إذا دفع الثمن ...

عثمان: أؤكد لك أنه لن يدفع ... وإذا لم تُفرِج عنه، فستكون البداية تثليج رجالك الأربعة حتى الموت ... بعدها سوف نطاردك ...

صاح الرجل: هل تُهدِّدني؟ ... أنت تطاردني؟ ... أنتم؟

عثمان: نعم ... نحن ... والآن، هل نصل إلى اتفاق؟

الرجل: لا اتفاق على إطلاق سراح «فرانك» و«نانسي» قبل دفع ثلاثة ملايين. لقد كانوا خمسة، ولكني خفَّفت المبلغ رأفةً بهما ...

عثمان: لن يدفعا مِلِّيمًا واحدًا.

الرجل: إنك مُتصلِّب الرأي جدًّا أيها الشابُّ ... كن على حذَر ... وإلا ...

عثمان: ماذا بعد إلا هذه؟!

سكت الرجل لحظات، ثم قال: سوف أتَّصِل بكم بعد قليل ...

رفع «عثمان» السماعة، وروى بسرعة ما جرى بينه وبين الرجل ... وكان ذلك واضحًا لبقيَّة الشياطين ...

أعادوا الرجل إلى الثلاجة ... وكان «أحمد» مستغرقًا في صمتٍ عميق ... وسألته «إلهام»: ماذا هناك يا «أحمد»؟

أحمد: أظن أن الرجل يُدبِّر شيئًا ما. إن هؤلاء الأوغاد لا يمكن أن يستسلموا بسهولة.

إلهام: من الواضح أن الضغط عليه بواسطة القبض على أعوانه لن يجدي ...

أحمد: كنت أعرف ذلك من البداية ... فهؤلاء الأربعة أوغاد لا قيمة لهم ... ولا يمكن استبدالهم بـ «فرانك» و«نانسي» ...

زبيدة: إذن ما هي خطتك؟

أحمد: لقد بدأ نجاح خطتي، إنني فقط كنت أبحث عن نقطة التَّماس مع العصابة ... كنت أريد أن أصطدم بهم مباشرة، وليس عن طريق «جوك» ... فإن ...

ولكن «أحمد» لم يُكمل جملته، وقفز فجأةً ... ووقف بقيَّة الشياطين في نفس الوقت ... لقد سمعوا صوت سيَّاراتٍ تقترب، وعرَفوا أن استنتاج «أحمد» صحيح ... وأن «بازوليني» يُدبِّر شيئًا ... وتوقَّفت السيارات أمام المخزن تمامًا، وسمِعوا صوت السيارات وهي تُفتح وتُغلق، وصوت أقدامٍ تقترب ...

أشار «أحمد» للشياطين، فتفرَّقوا جميعًا، وسمعوا دقًّا على الباب ... وكان الباب يُفتح بواسطة مفتاحٍ كهربائيٍّ على مكتب الصالة الكبيرة ... ضغط «أحمد» المفتاح، وفتح الباب ... وكانت مفاجأةً ... دخل «جوك» يترنَّح، وقد رُبطَت يداه خلف ظهره، وبدا مصابًا في أكثر من موضع، ووقف رجلان خلفه يمسكان بالمدافع الرشاشة ... وصاح واحد منهم: إن صديقكم ستصيبه رَصاصة في رأسه إذا لم تُسلِّموا الأولاد الأربعة ...

وقف «جوك» مكانه ينظر إلى الصالة الفارغة ... فقد اختفى الشياطين الأربعة في الأركان المظلمة ... وفجأةً انطلقت «بطَّةُ» «عثمان» ... هذه الكُرَة المطَّاطية الرائعة التي تطير بسرعة البرق، وتصيب الرأس تمامًا، ويسقط من يُصاب بها في إغماءة طويلة ...

أطلق «عثمان» بطَّته التي لا تفارقه، وأصاب أحد الرجلين في جانب رأسه، فسقط كما يسقط الجِوال الفارغ ... وعندما التفت زميله إليه، كان «أحمد» ينقضُّ من جوار الحائط عليه، ثم يسقط أرضًا بسرعة، ويتدحرج معه إلى داخل المخزن في الجانب المظلم منه ... بينما اندفع «عثمان»، فحمل «جوك» كما يُحمَل الطفل، وأسرع به جانبًا.

وسمعوا صوت أقدامٍ أخرى تقترب ... ثم انطلقت أفواه المدافع الرشاشة ترشُّ صالة المخزن بالرَّصاص، ولكن الصالة كانت خالية ... وفي الظلام وقفت «إلهام» و«زبيدة»، كلٌّ منهما تحمل مسدَّسًا عيار ٤٥، وأخذت الرَّصاصات تنطلق بدقَّةٍ بالغة ... وحسب اتفاق الشياطين الأربعة، فقد كانت هذه الرَّصاصات تصيب أيدي أعضاء العصابة وأرجلهم فقط ... لم يكن الشياطين من هواة القتل ... إنهم فقط يحاولون تعجيز أعدائهم ...

ومرَّت دقائق، والرَّصاص ينطلق كالخيوط، في خطٍّ مستقيم، ليصيب رجال العصابة الذين أسرعوا بالفرار، بعد أن ألقَوا بأسلحتهم، ودارت المحرِّكات مرَّةً أخرى، وانطلقت السيارات عائدةً ... وفي هذا الوقت كانت أصوات سجناء الثلاجات ترتفع ... لقد ظنُّوا أن زملاءهم قد سيطروا على الموقف ... ولكنَّهم في النهاية اكتشفوا أنهم اندحروا، وفرُّوا هاربين.

وصاح أحدهم: أخرجوني من هذا الجحيم المثلَّج، إنني على استعدادٍ للكلام ...

وأسرع الشياطين الأربعة، وأخرجوا الرجل وهو يرتعد، كأنه قد اتصل بمولِّدٍ كهربائيٍّ ... وأسرعوا به إلى غرفةٍ دافئة، ولفُّوه بالبطاطين ... وبدأ الرجل يقول: هذه أول مرَّةٍ يُعاملني أعدائي بهذه الرحمة.

عثمان: نحن لسنا أعداءك ... إن زعيمك هو الذي جعلك عدوًّا لنا، فنحن لا نريد بك شرًّا.

الرجل: المشكلة هي أنه رجلٌ رهيب ... إنه ينتقم بسرعةٍ وبشدَّة ... وأنا أخشى على حياتي.

عثمان: إن زعيمك قويٌّ بكم ... فإذا تخلَّيتم عنه، فسوف يُصبح أضعف من كتكوت ... وها أنتم ترون أننا أربعة، وقد هزمناه في معركتين ...

الرجل: ومن يحميني منه؟

عثمان: نحن نحميك ... ثم إنه إذا وقع في قبضة البوليس، فلن يستطيع شيئًا بعد ذلك ...

وكان صياح الرجال الثلاثة الآخرين يُدوِّي وهم يطلبون إخراجهم من الثلاجة ... وسرعان ما أخرجهم الشياطين، وبدأت الاعترافات ...

قال الرجل الذي خرج أولًا: إننا لسنا إلا مجرَّد أفرادٍ صغارٍ من هذه العصابة الجهنَّمية.

إننا جميعًا من الملاكمين السابقين ... لم يعُدْ في إمكاننا أن نلاكم على الحَلْبة؛ ولهذا فنحن نعمل من أجل أكلِ العيش ...

عثمان: إن هناك ألف طريقةٍ للحياة الشريفة ... فلماذا الشرُّ والإجرام؟

سكت الرجال الأربعة ...

وقال «جوك» الذي وقف يفرك يديه: إنني على استعدادٍ لتعيينكم في محلَّات «فانسي» بمرتباتٍ مجزية، وستكون مهمَّتكم حماية الزبائن من المشاغبين، بدلًا من عملكم مع العصابة ... إنني أرجو أصدقائي أن يوافقوا على هذا الاقتراح ...

أحمد: إنني موافق، وأعتقد أن زملائي موافقون أيضًا ... إن ما يهمُّنا الآن هو تخليص «نانسي» و«فرانك» من أيدي العصابة، فما هي اقتراحات الزملاء الجدد؟

في جُحر الفئران

لم يردَّ أحد من الرجال الأربعة ... ومرَّت فترة صمْت، ثم قالت «زبيدة»: عندي اقتراحٌ محدَّد.

التفتَ إليها الجميع، فقالت: يعود الرجال الأربعة إلى «بازوليني» ... بعد أن انتصروا علينا ...

بدت الدهشة في العيون، فمضت «زبيدة» تقول: سيقولون لـ «بازوليني» إنهم استطاعوا بطريقةٍ ما أن يتمكَّنوا منَّا، وقد أسروا اثنين ... أنا أو «إلهام» و«أحمد» أو «عثمان» ... وبهذا يدخل اثنان منا إلى قلب العصابة كأسيرَين، ويبقى اثنان في الخارج ... إن معنا وسائل اتصالٍ يمكن أن نتَّصل بها من الداخل، ولا أظن أن العصابة سوف تفطن إليها ...

وعندما نكون في الداخل، سنتمكَّن من معرفة كلِّ شيءٍ عن العصابة ... وعن مكان «فرانك»، و«نانسي» ... ولا أظن، ونحن الآن ثمانية، يمكن أن يهزمنا «بازوليني» ... لقد اصطدمنا بمن هم أقوى من «بازوليني» عشرات المرات ... ولن نقف مكتوفي الأيدي أمام زعيم عصابة «فئران نيويورك». وسكتت «زبيدة»، كان اقتراحها جريئًا وعمليًّا ...

ولكن أحد الرجال الأربعة اعترض، قائلًا: إنكِ لا تعرفين «بازوليني»، إنه لن يُصدِّق حرفًا من كلامنا ... وسوف نتعرَّض لتعذيبٍ رهيبٍ لنعترف ...

زبيدة: لا بدَّ لكلِّ عملٍ من ثمن ... وإذا كنت تخشى أن تتعرض للتعذيب، فإنني مُعرَّضة للتعذيب والقتل مثلك ... ولكن هذه مهمَّتنا ... وإلا فليذهب كلٌّ منا للتنزُّه في إحدى الحدائق، أو نعود إلى بلادنا وننسى المسألة.

عاد الصمت من جديد ... ثم وقف أحد الرجال وقال: إنني معكم في هذه الخطَّة ... إنكم ستُدبِّرون عملًا شريفًا لنا، وهذا ما كنَّا نريده منذ زمنٍ بعيد ...

ولم يسَع الرجال الثلاثة الآخرين إلا أن يوافقوا ... وجلس الجميع يُدبِّرون تفاصيلَ الخطَّة، ودَورَ كلِّ واحدٍ في العملية ... وتمَّ الاتفاق على أن يقوم «عثمان» و«زبيدة» بدَور الأسيرَين ... بينما يبقى «أحمد» و«إلهام» للمتابعة والهجوم في الوقت المناسب.

قال أحد الرجال الأربعة: لا تتوقَّعوا نتائجَ سريعةً لهذه العملية ... إن المقرَّ الرئيسيَّ لعصابة «فئران نيويورك» لا يعرفه أحد، ولا ندري إذا كان «بازوليني» سيقابلنا أم لا ... إنه رجل مراوغ، ولا أحد يعرف ماذا سيفعل ...

زبيدة: دعوا العملية لنا ... إننا نعرف كيف نتصرَّف مع هذا الوغد.

وسرعان ما قام «أحمد» و«إلهام» بشدِّ وَثاق «عثمان» و«زبيدة» كأسيرَين ... ثم ركب الرجال الأربعة سيارتين، في كلِّ واحدةٍ منهما أحدُ الأسيرين ... واطمأنَّ «أحمد» على أجهزة الاتصال الدقيقة، كما تسلَّح «عثمان» و«زبيدة» بأسلحةٍ خفيفةٍ من الصعب كشفها، وقبل أن تنطلق السيارتان، اتصل «أحمد» بعميل رقم «صفر»، الذي كان يقف في سيارته قريبًا، وطلب منه متابعة السيارتين، والاتصال به في الفندق بعد ساعة ... ثم خرج «أحمد» و«إلهام» بسيارةٍ إلى الفندق، وهناك جلسا بجوار التليفون.

انطلقت السيارتان عائدتَين من الرصيف إلى قلب نيويورك المزدحم، ثم مرَّتا فوق كوبري «مانهاتن»، واتجهتا غربًا ... وكانت العصابتان اللتان وُضعتا فوق عينَي «عثمان» و«زبيدة» تمنعانهما من رؤية الطريق، ولكن الرجال الأربعة كانوا يشرحون لهما خطَّ السير ... وظلَّت السيارتان تَنْهبان الطرق المختلفة، حتى وصلتا إلى مكانٍ اختفت فيه ضوضاء الشوارع ... وقال أحد الرجال: إن هذا هو المقرُّ الذي نلتقي فيه برجال «بازوليني» ... واستعدَّا الآن للاستجواب.

انطلقت كشافاتٌ قويَّةٌ كشفت السيارتين، وفرقعت الأسلحة، وصاح شخص: مَن هناك؟

أخرج أحد الرجال رأسه من السيارة وقال: أنا «كاندي»، ومعي بقيَّة الرجال ...

وسُمعت أصوات سلاسلَ ضخمة، ثم فُتح البابُ الحديديُّ، ومَرَقت السيارتان ... وبعد نحو مائة مترٍ توقَّفتا تمامًا، وصاح «كاندي» بخشونةٍ مُصطَنعة: هيَّا!

ونزل «عثمان» من السيارة الأولى، ونزلت «زبيدة» من السيارة الثانية، وسمعا صوت الرجال يتحدَّثون.

قال «كاندي»: لقد أسرنا اثنَين من الأربعة ... وقد هرب الآخران بمنتهى الجبن ...

ضحك أحدُ الرجال وقال: سيُسرُّ الزعيم جدًّا بهذا الخبر، إنه يكاد يُجنُّ! فهو لا يُصدِّق أن أربعة أولادٍ يمكن أن يفعلوا هذا بنا ...

وجرَّ الرجل «زبيدة» و«عثمان» بخشونةٍ إلى داخل الفيلَّا ... ورفع أحد الرجال الأربطةَ فبَهَرَ عيونهما الضوءُ، وقال الرجل: هذا الولد وهذه الفتاة؟! هذا غير معقول!

قال «كاندي»: إنهما يقاتلان كالشياطين.

الرجل: سنرى الآن ... سأتصل بالزعيم.

نظر «عثمان» و«زبيدة» حولهما ... كانا في صالةٍ واسعة في فيلَّا قديمة، ويقف حولهما ثلاثة من الرجال المسلَّحين بالبنادق سريعة الطلقات ... بينما كان الرابع يتحدَّث إلى «بازوليني» تليفونيًّا، وعندما ردَّ عليه صاح الرجل: أخبار طيِّبة أيها الزعيم ... لقد استطاع «كاندي» وزملاؤه أن يأسروا اثنَين من هؤلاء الأولاد ...

وأنصت الرجل، ثم ضحكَ وهو يقول: بالطبع أيها الزعيم. وسوف يدفع «فرانك» الآن، بعد أن سقط هؤلاء الأوغاد في أيدينا ...

وسكت لحظاتٍ وهو يستمع ثم قال: إنهما ولدٌ وفتاة. واستمع قليلًا ثم قال: نستطيع بالطبع المحافظة عليهما حتى الصباح ... وسينطلق بعض الرجال خلف الآخرين ...

وسكت ثم قال: سنحملهما على الكلام طبعًا ...

ووضع السماعة، والتفت إلى «عثمان» و«زبيدة»، وقال: أين الآخرون؟

ردَّ «عثمان»: لا نعرف ...

الرجل: لا داعيَ للإنكار ... إنك لن تحتمل ما سنفعله بك إذا لم تتحدث ... وما دام الزعيم قد طلب أن يعرف أين هما ... فيجب أن تتحدَّثا فورًا ...

قال أحد الرجال: دعنا نضعهما مع «فرانك» و«نانسي» ... ليعرف «فرانك» أن هذه هي النهاية، ويدفع ما هو مطلوب منه ... إن ما يهمُّ الزعيم هو الحصول على المبلغ ...

واقتيدت «زبيدة» إلى غرفةٍ في نهاية الدهليز، تنزل بضع درجاتٍ عن الأرض. ووجدت أمامها بابًا من الحديد الثقيل، فتحه الرجل ودفع بها إلى الداخل ... كانت الغرفةُ مظلمة، لا يُنيرها إلا مصباح صغير جدًّا خافتُ الضوء في السطح ... وشاهدت شبحَ شخصٍ مُكوَّم على فراش بجوار الحائط ... وسمعت الصوت يقول ... مَن؟

عرفت على الفور صوت «نانسي»، وهلَّلت: «نانسي»!

نانسي: «زبيدة»؟!

زبيدة: نعم ... كيف حالكِ؟

نانسي: هل أسروكِ أنتِ أيضًا؟ ... لقد فقدنا كلَّ أَمَل ...

لم تردَّ «زبيدة» ... فقد كانت تتوقع أن توجد أجهزة تنصُّتٍ أو تسجيلٍ خفيفة، فاقتربت من «نانسي»، واحتضنتها، واستطاعت على الضوء الخفيف أن ترى وجهها النحيل، وجسدها الواهن، فانحنت عليها، وهي تهمس: لا تخشَي شيئًا ...

نانسي: كيف؟

زبيدة: إن «ريمون» و«إلهام» في انتظار أيةِ إشارةٍ منَّا لاقتحام المكان ... ولكننا لا نريد الإيقاع بالفئران فقط ... إننا نريد الإيقاع بالقطِّ أيضًا ...

نانسي: تقصدين «بازوليني»؟

زبيدة: نعم.

نانسي: وأين «فرانك»؟ ... هل سمعتِ شيئًا عن «فرانك»؟

زبيدة: إنه حيٌّ يُرزق ... لا تخافي شيئًا يا «نانسي».

وأمسكت «نانسي» بيد «زبيدة»، وقد أحسَّت بالراحة تغمرها ... وأخرجت «زبيدة» من قاع حذائها قلمًا صغيرًا من الصُّلبِ القوي، وفتحت جزءًا فيه، امتدَّ منه «إيريال» صغير، وسرعان ما كان «أحمد» يتلقَّى رسالتها: «من «ز. ك. ش» إلى «أ. ك. ش» ... الأخبار طيِّبة، أنا مع «نانسي». تستطيع أن تهاجم الآن. من الأفضل الانتظار حتى يقع الرجل الكبير ...»

وردَّ «أحمد» على الفور: «من «أ» إلى «ز»، عظيم ... لقد عرفنا مكانكم من «ع». رقم «صفر». إنه تبِعَكم، ويعرف مكانكم.»

وأغلقت «زبيدة» جهازها الثمين، ثم وضعته مكانه في قاع الحذاء، وفي تلك الأثناء كان «عثمان» يجلس أمام الرجال الثلاثة محاولين استجوابه ... وبالطبع كان الشيطان الأسمر لم يقل لهما شيئًا ذا قيمة ... رغمَ توعُّدهم له بالتعذيب الشديد.

وفي هذه اللحظة أيضًا اتَّصل عميل رقم «صفر» بـ «أحمد»، وقال: لقد علمتُ الآن أن «بازوليني» ومجموعةً من رجاله قد اتجهوا إلى مقرِّ الأسرى غرب «مانهاتن» ...

أحمد: تعالَ لأخْذنا الآن إلى المكان ... يبدو أن المعركة الكاملة مع «فئران نيويورك» قد أوشكت.

خطة «بازوليني»

وصل عميل رقم «صفر» في سيارة «لنكولن» ذات الاثني عشر سلندرًا، وهي أقوى السيارات الأمريكية على الإطلاق ... ووصل «جوك» في نفس الوقت، فقال له «أحمد»: «جوك»، عُد إلى مكتبك، وابقَ بجوار التليفون ... إن «بازوليني» يعتقد الآن أنه أوقعَ بنا، ومن الأفضل أن تبقى بعيدًا ... إنه سيتَّصل بك في الأغلب ليطلب الدولارات ... تظاهر بأنك لا تعرف شيئًا وقل له إنك ستدبر المبلغَ، وخذ منه موعدًا لتسليمه النقود ... وستكون على اتصالٍ بنا ... وأخرجَ «أحمد» جهازًا صغيرًا أعطاه لـ «جوك»، وشرح له طريقة استعماله، ثم قفز إلى السيارة بجوار «إلهام»، وانطلقت بهم في ليل نيويورك المخيف ...

اتجهت السيارة إلى جُحر الفئران، حيث كان استجواب «عثمان» ما زال مستمرًّا ... وسمعت «زبيدة» جهاز اللاسلكي الصغير يرِنُّ في حذائها، وأخرجت الجهاز واستمعت إلى «أحمد» يقول: نحن على بُعد نصف كيلومتر فقط من مكانكم ... نراقب حضور «بازوليني» ... استعدُّوا.

جلس «أحمد» و«إلهام» وعميل رقم «صفر» في السيارة المطفأة الأنوار داخل غابةٍ صغيرةٍ قُرب المنزل يراقبون ... ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت ثلاثُ سيَّارات مسرعة في اتجاه المنزل ... وعندما اقتربت منه، أطفأت الأنوار بضع مرَّات، إشارةً للبوابة التي فُتحت ... ولم يُضيِّع «أحمد» ولا «إلهام» وقتًا، فقد طلبا من عميل رقم «صفر» انتظارهما، ثم قفزا من السيارة، واتجها إلى الجزء الجنوبي من السور الضخم الذي يُحيط بالمنزل، وتسلَّقا السور في خِفَّة القرود، وأخذا يزحفان عليه حتى وجدا شجرةً عالية، نظرا إليها، ثم نزلا إلى الأرض.

سار «أحمد» وخلفه «إلهام» بسرعةٍ وبهدوء، خلال الأشجار التي تملأ حديقة المنزل، حتى اقتربا من المبنى، واختار «أحمد» نافذة، ثم أخرج دائرةً صغيرةً من الكاوتشوك ألصقها بالنافذة، ووضع أذنه عليها ... كانت جهاز استماعٍ صغيرًا، ولكنه دقيقٌ جدًّا، فقد نقل إليه على الفور الحديث الذي يدور بالغرفة ... وعرف على الفور صوت «بازوليني» الذي التقى به قبل ذلك ... سمعه وأحسَّ بالرعدة تسري في بدنه ... لقد كان زعيمُ العصابة المتوحِّش يرسُم صورةً داميةً لنهاية «زبيدة» و«عثمان» ...

قال «بازوليني»: يجب أن نُلقِّن هؤلاء الأولاد درسًا لا ينسونه ... لقد هزموني — وأنا أعترف بذلك — في معارك فينسيا ... وقد آن أوان الانتقام ... وأخذ صوت «بازوليني» الخشن يأخذ طابَع الحِدَّة وهو يصيح: إنني متأكِّد أنهم يُمثِّلون منظَّمةً سِرِّية، لا أعرف أين ... وأعتقد أننا مهما حاولنا الضغط عليهم فلن يعترفوا ... لهذا يجب ... أن يموتوا ...

وتحشرج صوت «بازوليني» من فرط الحدَّة والعنف، وقال: وسوف أُعِدُّ لهم قبرًا يليق بهم ... هناك سدٌّ من السُّدود الكبيرة يُقام عند حدود الولاية ... وهم يعملون فيه ليلَ نهار ... ويصبُّون مئات الأطنان من الخرسانة المسلَّحة ... وسوف نُلقي بهذا الفتى وهذه الفتاة في قلب الخرسانة وهي طريَّة ... وسوف يختفون إلى الأبد في هذه الخرسانة ... ولن يُفكِّر مخلوق في مصيرهما، بل حتى ولو عرفوا أنهما فيها ... فكيف يمكن إخراج جثَّتَيهما ... إنَّ نسفَ هذه الخرسانة مستحيل ... إنها تحتاج إلى قنبلة ذرية لنسفها.

وسكت «بازوليني» وهو يلهث ... وسمع «أحمد» صوت أحد الرجال يقول: ومتى يتم التنفيذ أيها الزعيم؟ ...

بازوليني: الآن ... لا وقت نضيعه ... وهكذا يعرف «فرانك» و«نانسي» أن هؤلاء الأولاد لا يمكن أن يقفوا أمامي ... أنا «باولو فرانكشسكو بازوليني».

وساد الصمت، وأشار «أحمد» إلى «إلهام»، فاقتربت منه، وأخذ يهمس بما سمع ... بينما أذنه لا تزال على جهاز الاستماع الصغير ... ثم قال «أحمد»: اتصلي بـ «زبيدة» ... أخبريها بما دار ... قولي لها إننا سنبدأ معركةً الآن فورًا، وسمع صوت «بازوليني» مرَّةً أخرى يصيح: «ماك»، «كروجر»، «جرانت»، عليكم بهذا الولد، وسيتبعكم ثلاثةٌ آخرون ومعهم الفتاة.

أخرج «أحمد» قنبلة دخانٍ صغيرة ... وكذلك فعلت «إلهام»، ثم ابتعدا عن النافذة بما يكفي، وأطلق «أحمد» دفعةً من مدفعه الرشاش حطَّمت خشب النافذة وزجاجها ... ثم ألقى بقنبلة الدخان خلالها ... وكذلك فعلت «إلهام» ...

وسمعا أصواتًا غاضبةً ... وطلقات رَصاصٍ تُدوِّي ... ونظر «أحمد» إلى أعلى المنزل حيث تمتدُّ أسلاك الكهرباء التي تُغذِّي المنزل، وأطلق عليها دفعةً أخرى من مدفعه، فساد الظلام، ووضع قناعًا على وجهه، وكذلك فعلت «إلهام» ... وقفزا معًا في النافذة المفتوحة.

كان رجال العصابة يسعلون وهم يترنَّحون يمينًا وشمالًا ... وفي هذا الوقت كانت «زبيدة» قد أخرجت مجموعةً من الأدوات الصغيرة من فردة حذائها الثانية، وأخذت رغم الظلام تعالج قُفلَ الباب ببراعة ... ولم يمضِ سوى ثوانٍ قليلة حتى فتحَته وصاحت: «نانسي» ... هيَّا بنا.

ثم قفزتا في ظلام المنزل ...

كانت «زبيدة» تُمسك بيد «نانسي» ... وكانت «نانسي» تصيح في الظلام: «فرانك» ... «فرانك» ...

ولكنَّ أحدًا لم يُجب ...

ساد الذُّعر المكان ... وكان «أحمد» و«إلهام» يطلقان مدفعهما في سقف المكان لزيادة الذعر ... وأخذ رجال العصابة الذين أعماهم الدخان يجرون في كلِّ اتجاه ... وفتحوا باب المنزل وأخذوا يجرون ... وهذا ما كان «أحمد» يتوقَّعه بالضبط. فخرج إلى الساحة التي أمام المنزل. كان يريد اصطياد «بازوليني» ... فهو يعرف أهمية أن يقضيَ على الزعيم.

كان عددٌ كبيرٌ قد خرج ... إلا أن «بازوليني» لم يخرج مطلقًا ...

وقفزت «زبيدة» وفي يدها «نانسي»، ولكن لم يظهر أثر لـ «فرانك» ... و«عثمان»، وأحسَّ «أحمد» بالقلق ... وفجأة، خطرت له فكرة ...

صاح بـ «زبيدة»: اذهبوا جميعًا إلى الفندق ... وانتظروني هناك ...

وأسرعت «زبيدة» و«إلهام» و«نانسي» إلى سيارةٍ من السيَّارات الواقفة، وانطلقوا في سواد الليل يُغادرون المكان الذي دبَّ فيه الفزَع ... بينما عاد «أحمد» يقتحم المكان مرةً أخرى، وهو يطلق ضوء بطَّاريَّته.

كان هناك بعض المصابين، ولم يكن بينهم «بازوليني» ... وفجأةً التفت «أحمد» على حركةٍ مريبةٍ خلفه، وكاد يُطلق الرَّصاص، لولا أن سمع صوت «كانديِ»، أحد الرجال الأربعة الذين اتفق معهم، وهو ينظر من خلال بابٍ موارَب.

صاح «أحمد»: «كانديِ»، أين «بازوليني»؟ أين «عثمان»؟

خرج «كانديِ» من الغرفة وهو بادي الذهول، وقال بصوتٍ خافض: لا أدري ماذا حدث.

أحمد: إنهما لم يخرجا من الباب ... إنهما ما زالا هنا، هل معك مسدَّس؟

كاندي: لا.

ناوله «أحمد» مسدَّسًا، وقال: سنُفتِّش المكان ...

ومضيا معًا من غرفةٍ إلى غرفة، ولكنَّ أحدًا لم يكن هناك، وفجأةً صاح «كاندي»: كنت أسمع أن في هذا المكان مخزنًا تحت الأرض.

أحمد: أين؟

كاندي: أظنُّ أنه خلفَ أحد أبواب المطبخِ الخلفي.

ومضيا معًا إلى المطبخ ... ووجدا بابًا مفتوحًا في نهايته ... وأسرع «أحمد» يضيء مصباحًا كهربائيًّا، ويُلقِي بضوئه داخل الباب ... وفعلًا وجد سُلَّمًا ينزل إلى أسفل ... وأخذ ينزل مسرعًا، وخلفه «كاندي» ... كانت المياه تغمر السُّلَّم والدهليز الصغير الذي يمتدُّ بعده ... وأخذت الفئران الضخمة تقفز هنا وهناك ... وتصوَّر «أحمد» أن «بازوليني» ربَّما سمَّى عصابته بهذا الاسم نسبةً إلى هذه الفئران ... ظلَّا يخوضان المياه حتى وصلا إلى نهاية الدهليز، الذي انحرف صاعدًا. وكم كانت المفاجأة أن وجدا الدهليز ينتهي عند سُلَّمٍ آخَر ... صعدا ووجدا في نهاية السُّلَّم بابًا، ولاحظا أن هناك ضوءًا خلف الباب ... ومرَّةً أخرى أخرج جهاز الاستماع الصغير، وألصقه بالباب، وأخذ يسمع.

كان «بازوليني» يتحدَّث مرَّةً أخرى غاضبًا: ماذا حدث لنا؟ هؤلاء الأولاد يضحكون علينا! إنكم مجموعة من الأوغاد لا فائدة فيكم. لولا أنني استطعت أخذ «فرانك» وهذا الولد الأسمر لنفَّذُوا خُطَّتهم كاملة. إن هناك خوَنة بيننا ... وإلا فكيف عرفوا بمكاننا! كيف استطاعوا مفاجأتنا في وقتٍ كنَّا نعتقد فيه أننا انتصرنا؟ هناك خيانة!

لم يردَّ أحد، فعاد «بازوليني» يقول: أين «كاندي» والثلاثة الذين كانوا معه؟

قال أحد الرجال: لعلَّ «كاندي» أُصيب أيها الزعيم ... ومعنا من الثلاثة «باسترودس».

صاح «بازوليني»: «باسترودس»، أيها الكلب الحقير ... قل لي الحقيقة وإلا سلخت وجهك.

ردَّ «باسترودس» بذِلَّة: إننا لم نرتكب الخيانة أيها الزعيم ... إننا ...

بازوليني: إنكم خوَنة ... وسوف أُثبت لكم ذلك ... ولكن ليس الآن موعد الحساب ... سوف أرسل لرجالي في الجانب الشرقي للحضور ... وسوف نرى من المنتصر في هذه المعركة ... سوف أبيدهم ... وسوف أدمِّر «فرانك» إذا لم يدفع الدولارات.

قطط وفئران

فكَّر «أحمد» لحظات ... إنه و«كاندي» فقط لا يستطيعان مهاجمة «بازوليني» الآن ... إن ما يهمُّه أولًا هو إنقاذ «عثمان» و«فرانك» ... فإذا كان «بازوليني» سيُنفِّذ خُطَّته الجهنَّمية في إلقاء «عثمان» في الأسمنت المسلح، فيجب أن تكون مهمَّته الأولى هي إنقاذ «عثمان».

التفت «أحمد» إلى «كاندي» قائلًا: «كاندي» ... إنني لا أريد أن أُعرِّضك للمشاكل ... ولكن هل أنت على استعدادٍ للاستمرار معنا؟

ردَّ «كاندي»: بالطبع أيها الصديق ... لقد أعطيتك كلمة ...

أحمد: إن زميلنا «عثمان» في أيديهم الآن ... وأخشى أن يُنفِّذ «بازوليني» خطَّةً كان يتحدَّث عنها، وتقضي بإلقاء «عثمان» في الأسمنت المسلَّح لأحد السدود التي تُنفَّذ عند حدود الولاية ...

كاندي: إنني أعرف مكان هذا السد.

أحمد: عظيم ... سأستمع مرَّةً أخرى ... ونضع خُطَّتنا ...

وضع «أحمد» جهاز الاستماع مرَّةً أخرى على زجاج الباب، وأخذ يسمع، ولكنَّ الصمت كان يلفُّ المكان، فقال لـ «كاندي»: إنهم غادروا المبني ... هيَّا بنا ...

دفع «أحمد» الباب ودخل ... لم يكن هناك أحدٌ بالدَّاخل ... ولكنَّه سمع صوتًا يتحدَّث ... اتجه إلى مكان الصوت ... شاهد شخصًا مسلَّحًا يقف أمام باب غرفةٍ موارَبة، يتحدَّث إلى شخصٍ في الداخل، كان الرجل يقول: لا تخف ... إنني لن أقتلك ...

وسمع «أحمد» صوتًا في الداخل عرَف فيه على الفور صوت صديقه «فرانك»، وكان يقول: إنني لا أخاف، ولكنَّ زوجتي ...

وقبل أن يكمل جملته، كان «أحمد» ينقضُّ على الرجل المسلَّح، فيديره دورةً كاملة، ثم يُطلق ذراعه في قذيفة تصيب وجهه، فيسقط على الأرض ... وقفز «أحمد» ودخل الغرفة وهو يقول: «نانسي» في خير.

كان «فرانك» مُلقًى على الأرض، وقد شُدَّت يداه وقدماه ... وبدا شاحبًا وضعيفًا، وأسرع «أحمد» إليه، وفكَّ وَثاقه، وهو يقول: سيأخذك أحد أصدقائنا إلى الفندق، وسألحق بك بعد قليل ...

فرانك: إلى أين تذهب؟

أحمد: إن «بازوليني» ينوي إلقاء «عثمان» في أسمنت أحدِ السُّدود، في محاولةٍ للانتقام منَّا ... سأذهب لإنقاذه ...

فرانك: سآتي معك.

أحمد: لا ...

فرانك: لا يمكن أن أتركك وحدك.

أحمد: إذَن هيَّا بنا، فالوقت ضيِّق ...

وخرج الرجال الثلاثة من المنزل ... كانت هناك سيَّارة «أحمد» التي حضر بها مع «إلهام»، فأسرعوا إليها، وجلس «كاندي» إلى عجلة القيادة، وانطلقت السيارة في شوارع نيويورك الواسعة، وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحًا ... أطلق «كاندي» العِنان للسيارة ... فقد كان «بازوليني» ومن معه يسبقونهم ببضع دقائق ... وكانت تباشير الفجر قد بدأت تلمع في الأفق.

وقال «كاندي»: سنصل في الوقت المناسب ...

أحمد: كيف عرفت؟

كاندي: لأن العمل في الخرسانة لن يبدأ قبل ساعة ... إن لي أخًا يعمل هناك ...

وواصلت السيارة سرعتها ... بينما كان «أحمد» يروي لـ «فرانك» ما حدث ... وكان «فرانك» يُربِّت على كتفه قائلًا: كنت واثقًا أنك ستأتي لنجدتي ... إن هذا الخنزير «بازوليني» كاد يُحطِّمني.

أحمد: إننا أصدقاء ... وما قيمة الصديق إذا لم يتدخَّل في وقت الشِّدة؟!

مضت ساعة ... وبدأ «أحمد» يحسُّ بالقلق ... وقال لـ «كاندي»: هل ما زال المكان بعيدًا؟

كاندي: عشر دقائقَ أخرى ...

وبدأت السيارة تقترب من مكان السد ... وسمعوا جميعًا صوت الماكينات الضَّخمة وهي تهدر من بعيد، وارتفعت السيارة فوق أحد التلال ... وعلى ضوء الفجر شاهدوا سيارتين كان واضحًا أنهما تابعتان للعصابة ... وكانت السيارتان تقفان بجوار المولِّد الكهربائي الضخم. ومن الواضح أن رجال العصابة ينتظرون بَدء إلقاء الخرسانة ...

اختار «أحمد» بندقيَّةً ذات منظارٍ دقيق، وضعها على كتفه، ومن خلال المنظار استطاع أن يشاهد السيَّارتين ومن فيهما ... ولاحظ أن حركةَ تَنَقل تتم بين السيارتين ... وشاهد «عثمان» وهو يُنقلُ من السيارة الثانية، بينما «بازوليني» ينزل يركب السيارة الأولى ... وفكَّر أن يُطلق عليه النار وهو واثقٌ من إصابته ... ولكنه خشيَ على «عثمان».

فكَّر «أحمد» لحظات، ثم حمل بندقيَّته على كتفه، وأعطى لكلٍّ من «فرانك»، و«كاندي» بندقيَّةً مماثلة، ثم أخذوا ينزلون التلَّ في هدوء، كانت الأشجار والظُّلمة التي ما زالت سائدةً كافيتَين لحمايتهما من الأنظار. وبعد نحو خمس دقائق، كانوا على تلٍّ آخر قريبٍ من العصابة ... وأحصى «أحمد» عددهم، كانوا خمسةً ... وتأكَّد أنه يستطيع التغلب عليهم من بعيد بواسطة البنادق ... ولكن ما كان يشغل باله هو سلامة «عثمان»، وفجأة ارتفع دويٌّ كالطُّبُول ... كانت الخرسانة قد بدأت تتدفق من الآلات الضخمة، تصبُّ في جسم السد ... وتخيَّل «أحمد» المصير المخيف الذي يُعِدُّه «بازوليني» لـ «عثمان» ... واقشعرَّ شعره، وشاهد ثلاثة رجالٍ يُحيطون بـ «عثمان»؛ اثنين حوله، وواحدًا خلفه، وهم يقودونه معصوب العينين إلى حافة السد، حيث كانت الخرسانة تتدفَّق كمياه النهر ...

وأشار «أحمد» إلى «كاندي» و«فرانك» بالبقاء بجوار السيارتين، وقال: سأذهب أنا لإنقاذ «عثمان»، فإذا حاول هؤلاء الأوغاد الهرب، فأطلقوا عليهم النار ... إننا لا نقتل أحدًا ... أريد إصاباتٍ تعوقهم من الهرب فقط، ولكن لا نقتلهم ...

وقفز وحيدًا، وسار حتى أصبح بجوار السدِّ تمامًا ... وأصبح يسير خلف الرجال الثلاثة محتميًا بقِطَعِ الأخشاب الضخمة التي كانت ملقاةً هنا وهناك ...

وعندما أصبح على مسافةٍ كافية، أخرج كاتمًا للصوت، وضعه على البندقية، ثم ارتكز على ركبتيه، ووضع البندقية في كتفه، وأطلق طلقةً واحدةً أصابت الرجل الذي كان يسير في الخلف، فسقط وهو يعوي ... والتفت الآخران ... وانطلقت رَصاصتان، أصابت كلٌّ واحدةٍ رجلًا ... وسقطا، وأسرع «أحمد» إلى «عثمان» ... الذي كان يحاول فكَّ يدَيه ...

وصاح «أحمد»: «عثمان»! ...

ردَّ «عثمان»: «أحمد»! أين أنت؟!

أحمد: بجوارك ...

ثم قفز إلى صديقه، ففكَّ وَثاقه ... كان الرجالُ الثلاثةُ مُمدَّدين على الأرضِ يتأوَّهون من إصابتهم ... وتحرَّك «عثمان» فأخذ مسدَّسًا من واحدٍ منهم ... وفي هذه اللحظة سمعا صوت طلقات رَصاص، وقال «أحمد»: إنهما «كاندي» و«فرانك» ... يطلقان الرَّصاص على «بازوليني» ... وفئرانه ...

وانطلق الصديقان جريًا إلى ساحة المعركة ... كان الرَّصاص كثيرًا يتناثر من الجانبين ... وفجأةً انطلقت إحدى السيارتين، ودارت دورةً واسعة، ثم غاصت في ظلام التلال واختفت عن الأنظار ... وسكت صوت إطلاق الرَّصاص ... وبدا ثلاثةٌ من رجال «بازوليني» واقفين وقد رفعوا أذرعتهم ...

وتقدَّم «أحمد» و«عثمان» من الثلاثة ... وصاح «أحمد»: أين «بازوليني»؟

ردَّ أحد الرجال مرتعدًا: لقد هرب ...

أحمد: إلى أين؟

الرجل: لا أدري يا سيِّدي ...

طلب «أحمد» من «كاندي» و«فرانك» و«عثمان» تقييد الرجال الثلاثة في داخل سيارتهم ... ثم ركب سيارته مع زملائه الثلاثة، وانطلقوا عائدين إلى الفندق.

كانت فرحة «نانسي» بلقاء «فرانك» لا تُقدَّر ... كانا يبكيان، بينما وقف الشياطين الأربعة يبتسمون في تعاطفٍ ومودَّة، وقال «فرانك»: إنني لا أعرف كيف أشكركم أيها الأصدقاء ... لقد أنقذتم حياتي أنا و«نانسي» ...

أحمد: إن مهمَّتنا لم تنتهِ بعد ... ولن تنتهيَ إلا بالقضاء على «بازوليني»، سنبقى معكم حتى نصطاد جميع «فئران نيويورك»، وعلى رأسهم الجُرَذ الأكبر «بازوليني» ...

هنـــداوي